

ألف حكاية وحكاية (٧٧)

أجمل يوم فى حياتنا

وحكايات أخرى

تأليف

يعقوب الشارونى



رسوم

عادل البطراوى

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدق
القجالة - القاهرة

لعبة الإبداع

في مدينة "الغنايم"، بحضن الجبل الغربي القريب من محافظة أسيوط، قضيت ساعتين حافلتين بالحيوية. مع مائة وسبعين من رواد مكتبة الأبطال بقصر الثقافة. وقرأنا معاً قصة الحمامة والنملة، والتي حكاها إيسوب، حكيم اليونان في القرن السادس قبل الميلاد.



وهي قصة الحمامة التي أنقذت النملة من الفرق. عندما ألقت إليها بورقة شجر على سطح الماء، فتسلقها النملة. وفي اليوم التالي، عضت النملة الصياد الذي أراد أن يصطاد الحمامة، فطاش سيمه، ونجحت الحمامة. ثم تسابق الصغار، يؤلفون للقصة مختلف العناوين أو يمثلون الحوار الذي دار بين الحمامة والنملة، ويبتكرون في هذا الحوار كثيراً من الصور والانفعالات والتعبيرات، لأن حيوية لعبة التمثيل هنا تدور حول الابتكار، بدلاً من تكرار ما قاله الآخرون.

وفي النهاية سألتهم: "لنفرض
أن الحمامة لم تجد أية ورقة شجر،
فماذا كان يمكنها أن تفعل؟"
قال البعض: "تلقى إلى النملة
بغصن شجرة."
وقال آخرون: "تلقطها
بمنقارها."

أو: "تحملها على جناحها."
وعند كل اقتراح، تتعالى
الأصوات مُبَيِّنَةً عدم سلامته.

وأخيراً وقفت فناءً في الثامنة
من عمرها، هادئة الملامح، بسيطة
الملابس، وقالت في ثقة وثبات:
"تنزع الحمامة بمنقارها ريشةً
من جناحها، وتلقيها على وجه الماء
قرب النملة."



عندئذ توقفت المناقشات والاعتراضات، وارتفع التصفيق من
الجميع، تحية لهذا التفكير الإبداعي المبتكر!!

الأسد لا يقتل

في عيد ميلاد "نهر" زعيم الهند ، ذهبنا إلى حفل المركز الثقافي الهندي ، لتشهد فيلم "الأسد والأرنب" ، الذي يحكي قصة الأسد ، الذي اعتاد قتل حيوانات الغابة ، فعرضت عليه الحيوانات أن ترسل إليه في كل يوم ما يكفي طعامه من الحيوانات ، بدل أن يقتلها بغير مُبرر.

قال الأسد: "أوافق .. لكن إذا أرسلتم إليّ من الأرانب ، فيجب أن ترسلوا أربعة."

فاقترح زعيم الأرانب أن يذهب بسفروده. وعندما وصل ، وجد الأسد غاضباً يقول: "لماذا تأخرت؟ وابن بقية الأرانب؟" هنا تظاهر الأرنب بالخوف ، وقال: "قابلني أسد آخر ، وابن بقية زملائي." قال الأسد وقد ازداد غضبه: "هيا لنرى هذا المعتدي."



وأخذ الأرنب الأسد إلى
بئر عميقة ، وقال له : " هنا يوجد
ذلك الأسد الآخر ."

وبسبب غضب الأسد ، ظن أن صورته في الماء هي الأسد
المعتدى ، فقفز بهاجمه في قاع البئر ، وكانت تلك هي نهايته .
وبعد انتهاء الفيلم ، وقفت سالي ، ذات الثمانية أعوام وقالت :
" أنا أعرف أن زوجة الأسد هي التي تقوم بالصيد ، وليس
الأسد ، كما أعرف أن الأسد لا يصطاد إلا إذا كان جائعاً !!!"
ورغم إعجابنا بالقصة وبالشيلم ، فقد صفقنا لهذه القدرة على
التفكير الناقد ، والملاحظات الذكية ، من الصغيرة سالي .



في مدينة الأقصر، التَّيْتُ بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ فِي
مَدَارِسِ جَمْعِيَةِ الصَّعِيدِ لِلتَّوْبَةِ وَالتَّسْمِيَةِ، بِمَحَافِظَتِي قَنَا وَسُوْهَاجٍ.
وَحُلَالَ اللَّقَاءِ، حَكَّتْ لَنَا "عَايِدَةُ" مَدْرَسَةُ الْإِبْتِدَائِيِّ، حِكَايَةَ تَلْمِيذٍ
لَهَا، أَثَارَ اهْتِمَامِهَا بِأَسْلُوبِهِ الْعِلْمِيِّ فِي التَّفَكُّيرِ، قَالَتْ:



"ذَاتَ يَوْمٍ، سَأَلْتُ التَّلَامِيذَ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ رِجْلِ الدَّجَاجَةِ
وَرِجْلِ الْبِطَّةِ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْإِجَابَةُ إِلَّا تَلْمِيذٌ وَاحِدٌ، قَالَ: "فِي رِجْلِ
الْبِطَّةِ يَوْجَدُ جِلْدٌ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، أَمَّا الدَّجَاجَةُ فَلَيْسَ لَهَا هَذَا الْجِلْدُ."
سَأَلْتُ: "وَمَا فَائِدَةُ هَذَا الْجِلْدِ لِلْبِطَّةِ؟"

فَوَقَّفَ الطِّفْلُ لَمْسَهُ، وَقَالَ: "لَقَدْ أَحْضَرْتُ دَلْوًا بِهِ مَاءٌ،
وَوَضَعْتُ فِيهِ الْبِطَّةَ الصَّغِيرَةَ، فَسَاعَدْتُهَا أَرْجُلَهَا عَلَى الْعُومِ، ثُمَّ وَضَعْتُ
كَتْكُوتَ الدَّجَاجَةِ، فَكَادَ يَغْرُقُ، فَعَرَفْتُ أَنَّ أَرْجَلَ الْبِطَّةِ تَسَاعِدُهَا
عَلَى الْعُومِ."

وصفَّ التلاميذ لهذا الطفل ،
الذى يسأل الأسئلة ، ويقوم
بالتجارب ، ويصل إلى نتائج
صحيحة.

قالت عايذة: "سألت ذلك
الطفل: وهل يُرحَّبون في البيت بأن
تقوم بهذه التجارب؟"

قال: "أمي تُشجِّعني عليها ،
بل هي تجلسُ معي أثناء مشاهدة
التليفزيون ، تشرح لي ما يصعب أن
أفهمه."

وقالت المعلمة: "فذهبتُ
لزيرة هذه الأم ، فوجدتها سيدهُ
بسيطة ، لكنها ترحَّب دائماً بأسئلة
ابنها ، وإذا لم تعرفِ الإجابة ، تنصحهُ
بسؤال أخيه الكبرى ، أو معلِّمه في
المدرسة."

واكتشفتُ أن الأمَّ هي التي شجَّعت ابنها على أن يسأل ، وأن
يبحث عن الإجابات ، وأن يقوم بالتجارب ، وأن يُبدع ، رغم أنها
هي نفسها لا تكادُ تقرأ أو تكتب.



أجمل يوم في حياتنا

هذه رسالة يامضاء تلاميذ الصفين الرابع والخامس ،
بالمدارس الابتدائية بجمعية الصعيد للتربية والتنمية بالأقصر. قرأتها
مرات ومرات، ورأيت أن يقرأها معي كل الآباء والأمهات. نقول
الرسالة.



أجمل يوم مر علينا حتى الآن ، يوم ذهبنا إلى قصر الثقافة ،
عندما قدمنا على المسرح الضخم عرضنا ، وهو "البرلمان الصغير".
قدمناه بطريقتنا ، وتحدثنا عن مشاكلنا. وكان إحساننا قبل العرض
هو الخوف الرهيب من شكل المسرح الكبير ، ونحن فوقه "مثل
النمل". لكن عند رفع الستار. بدأنا كلنا نتجاوز بجرأة وشجاعة أمام
الجمهور.

قلنا إنا نريد من أمهاتنا وعائلاتنا أن
تعاملنا معاملة حسنة ، وتحافظ على كرامتنا ،
بدلاً من "الشحط" والأوامر طوال الوقت.
لذلك طلبنا أن ننظم المدرسة لقاءً للآباء
والأمهات ، مع أحد المخصصين في التربية.
وتكلمنا عن أستاذ الرسم الذي يقطع
الكُرَاسات ويمزقها ، عندما يرى أن الرسم
"وحش" أو غير جميل ، مع أننا لا نعرف كيف
نجعل الرسم "موش وحش".
ونافقنا الواجبات الكثيرة التي لا نقدر
عليها ، وطلبنا أن "تقل شوية".

كما عرضنا موضوع "الأبله" المشرقة
على "الفتحة" ، عندما نشكو لها أن أحداً
ضربنا، فتقول: "معلش ... معلش" ، و"أحنا
زهقنا" من كلمة "معلش"!!

وبعد نهاية العرض ، سمعنا تصفيق الناس عالياً ، وشعرنا بالفخر ،
لأننا عبرنا عن رأينا بحرية وشجاعة.



إجابة لا يتوقعها أحد !!

في لقاءٍ موسَّعٍ بمدينة الأقصر ، مع عددٍ كبيرٍ من المدرِّسين والمدرِّسات للمرحلة الابتدائية ، كان النقاشُ يدورُ حول أساليب عقاب الأطفال . وقد حكت إحدى المدرِّسات الواقعة التالية ، قالت :

سألتُ تلاميذِي في الصفِّ الخامس الابتدائي :
"هل نوافقون على الضرب كعقوبة؟"

وكانت الإجابة من الجميع ، أنهم يوافقون ، لأنهم وجدوا المجتمع كله يُقرُّ ذلك .



قالت المعلمة : وبدأتُ مع الصغار حواراً طويلاً ، أوضحتُ لهم فيه أضرار الضرب ، والآثار السلبية للإيذاء الجسدي والنفسي للأطفال ، لأنه يُشعرهم بالإهانة والإحباط ، وبفقد الحب والأمان ، مع نمو الميول العدوانية عند الأطفال ، وظهور أمراض نفسية تستمر مع الإنسان طوال عمره ، مثل القلق والكذب ، بل والتخريب والسرقة .

قالت المدرّسة وهي نهاية الحوار، عدتُ أسألُ نفس السؤال
الذي بدأتُ به الحديث. فأجاب عشرون أنهم لا يوافقون على
الصرع كأسلوبٍ للعباب. في حين أجاب خمسة عشر، بينهم عددٌ
كثيرٌ من الفسات. أنهم يوافقون.
وعندما سألتهم عن سبب هذا الإصرار، سعتُ أعربُ إجابة
كُنْتُ أتوقّع سماعها. قالوا:

"لقد اقترح الرملاء، بدلاً من الصرع، عقوباتٍ أخرى، مثل
الحرقان من المصروف. أو وضع فيود على الخروج من البيت، أو
المسح من مشاهدة التلفزيون، وهذه عقوباتٌ تحرّمنا من أشياء
نعتبرها ممتعة في حياتنا. أما الصرع، فقد درّنا أنفسنا على أن نشقّاه
بغير اهتمام، وكأنّهم يصرون شخصاً آخر غيرنا!!"



من الذي تمارل عن المدان؟

في الفترة التي اشعلت خلالها بالنقصاء . كمشار بجنة قصايا
الدولة . حدثت أمامي وفانع قصة لا أنساها

كن ذلك في محكمة فما . وكان موضوع القضية هو إثبات
تمارل سيدة لأخوتها الرجال عن ميراثها الشرعي من والدها والذي
كان منحرد مدان واحد من الأرض . ومادى حاجب الجلسة اسم
السيدة . فتقدم إلى منته القاضي شخص قد يعطى من قمة رأسه
إلى أطراف أصابع قدميه بملابس سوداء ثقيلة .

وسأل القاضي : "هل أنت فلاحه؟"

وبصوت حثي حاء الرد "ابوه."



وظهر الترددُ على وجه القاضي ، فقد شعرَ بالثقل في أن الذي
يقفُ أمامه رجلٌ ، جاءَ يستحلُ شخصيةَ السيدة المتنازلة ، ليفوزَ
بميراثها .

عندئذٍ تقدَّم محامي السيدة لينقِذَ الموقفَ ، فقال للقاضي :
"في قرى قنا ، تعرفُ البستُ منذُ طفولتها أنه من العيب أن تخرجَ
أرضُ الآباء والأجداد من ملكية الأخوة الذكور ، لأن مكانتهم
ونفوذهم ، يعتمدان على مقدار ما يملكون من أرض ."

وبعد انتهاء الجلسة ، همن القاضي قائلاً لي : "هل رأيتَ
كيف أن التربية الخاطئة ، تؤكدُ فيما تقومُ في حقيقتها على التقليل
من شأن المرأة ، وتبرِّر أن يسلبَ منها الرجال ما قرَّره لها الشرعُ
والقانون من حقوق ؟"



لو كنتم في مؤتمر الأطفال

في نادي الطفل التابع لجمعية الرعاية المتكاملة بعين
حلو، في شقة بإحدى العمارات التي انتقل إليها الذين هدم
الزلازل بيوتهم، وفي لقاء مع أبناء وبنات بعض المدارس الابتدائية
والإعدادية، سألتهم: "لو كنتم قد اشركتم في مؤتمر الأطفال الذي
أقيم أخيراً، فما هي التوصيات التي كنتم ستطالبون بها، ولم ترد
ضمن ما أعلن عنه الأطفال المشاركون في المؤتمر؟"

قالت أسماء، وعمرها 11 سنة: "كنت سأطالب بالتقليل من

الواجبات المدرسية."

مفيش
ملعب في المدرسة

الواجبات
كثيرة أوي

عايزة رحلة
لسقارة

أنا باسم
كوييس
ومحدرش
بيشجعني

بابا
بيضربني



وقال أحمد وعمره ١٢ سنة: "نريد تحويل كل المدارس إلى نوادٍ حقيقية للرياضة والقراءة وممارسة الفنون والهوايات ، وذلك في أيام العطلة الأسبوعية ، وخلال شهور إجازة الصيف الطويلة ."

وقال مصطفى ووافقته مريم: " نرجو تنظيم زياراتٍ ورحلاتٍ يرى فيها كل أبناء مصر المتاحف والمناطق الأثرية والصناعية ، مثل المتحف المصري والإسلامي ، ومتحف سوزان مبارك للطفل ، وأهرام الحيزة وسقارة ، وبانوراما انتصار حرب أكتوبر ، ومكتب القاهرة الكبرى ."

أما زينب محمد ، وعمرها ١٣ سنة فقالت: كنتُ سأطالب الآباء بأن يتوقفوا عن الضرب والألفاظ الجارحة والصراخ فيما طُوال الوقت ، وأن يصبحوا أصدقاء لنا ، يتفاهمون معنا ، ويحترمون مشاعرنا وأفكارنا ."



ماذا يريد أن يرسم؟

شاهدتُ طفلاً في الرابعة من عمره ، قد أمسك في قبضة يده بأحد الأقلام الملونة ، وبدأ يخط بقوة على ورقة خطاً من أعلى إلى أسفل ، مُحركاً يده بغير ترددٍ . ثم وضع الطفل ذلك القلم ، وأمسك بقلم من لون آخر ، وخط خطاً آخر بحوار الأول .

وسألني أمه: "ماذا يريد أن

يرسم؟"

وقبل أن أجيب ، قال الطفل:

"لا شيء... الألوان"

تُعجبني."

ثم استمر يملأ الورقة بتشكيل

رائع جميل من الخطوط والألوان.



قلتُ لوالدة الطفل: "كل الأطفال فنانون، إنهم يسعدون وهم يشاهدون الألوان أمامهم على الورقة ، ولا يسألون أنفسهم ما فائدتها.. يكفي أنهم يرونها جميلة أمام عيونهم."

ثم قلتُ لنفسي: "يجب أن نتعلم من الأطفال كيف نستمتع بالشيء الجميل ، حتى إذا لم تكن له فائدة غير جمالية!"